

المحاضرة رقم: 03

الأسلوبية

تتقارب الأسلوبية كثيرا مع البنيوية، ذلك ان الأسلوبية نجمت عن الفكر اللغوي والأدبي قبل البنيوية، وأول مؤسس للأسلوبية هو: "شارل بالي" لأن هناك ترابط وثيق بين الدراسة اللسانية واتجاهات دراسة الأساليب التعبيرية.

وقد اشتركت مدارس أوروبية عديدة في تنمية الاتجاهات الأسلوبية على أسس لغوية، ونذكر منها: الأسلوبية التعبيرية عند الفرنسيين، والأسلوبية الحدس المعتمد على فقد اللغة لدى الألمان، وظهر ذلك من خلال كتابات "فوسلير" و "سبيترز"، ونذكر أيضا المدرسة الإيطالية والإسبانية من خلال كتابات "داه سو النسو".

وقد كان للمدرسة الإيطالية دورا كبيرا في بث روح التجديد في الدراسات البلاغية، والبحث في إرهاصات الفكر الأسلوبي في الثقافة العربية، وظهر ذلك مع الشيخ "أمين الخولي" من خلال كتابه "فن القول"، كما تأثر الأستاذ "احمد الشايب" في كتابه "الأسلوب" بمدرسة "بالي" الفرنسية.

لكن البحث البلاغي العربي انقطع عن تواصله مع الاتجاهات الأسلوبية الأوروبية ولم ترجع العلاقات إلا في فترة السبعينات م.ق.20.

لقد امتد التيار البنيوي في الستينات ليصبح الدراسة الأسلوبية بطابع خاص، وكان ذلك مع "ميكاييل ريفاتير" "بحوث عن الشعرية الألسنية، وتوجيهه لمفاهيم الأسلوبية كي تتسق مع المنظومة البنيوية العامة مما ترتب عليه شبكة التوافقات بين الفكر الأسلوبي والبنيوي".

تتركز الدراسات الأسلوبية على المستوى اللغوي من النص الأدبي. لالتقاط ملامحه وتحديد ظواهره بدقة، ثم تعدها إلى مستوى أعمق عبر عمليات التفسير والشرح للوظيفة الجمالية للأسلوب، وشرح العملية الإبداعية في توليدها لدلالات النص من جهة وقيامها بالوظائف الجمالية من جهة أخرى.

تقوم الدراسة الأسلوبية على مفهوم الأسلوب، وللأسلوب تعريفات عديدة منها ما يركز على المؤلف، ومنها ما يركز على النص، ومنها ما يركز على المتلقي.

1- مفهوم متصل بالكاتب، "الأسلوب هو الرجل" هذه المقولة المشهورة لصاحبها "دي بوقون"، والتي تتميز بطابعها المجازي، إلا أن المعنى هو الكتابة الأدبية تركها صاحبها أو مؤلفها، فملاحظه التعبيرية والفكرية مجسدة بها.

فالطابع الشخصي للأساليب هو تمثيل للملامح المميزة للكاتب، فالأسلوب إذن اختيار لغوي بين بدائل عديدة، وهذا الاختيار يحمل طابع صاحبه وشخصيته.

2- مفهوم متصل بالنص، الأسلوب هو انحراف عن المؤلف، قد يكون الانحراف في القاعدة، أو ببروز خاصية معينة في الكتابة الإبداعية، وإذا تكررت هذه الخاصية تصبح سمة أسلوبية خاصة بتلك الكتابة، فهذا التكرار الإيقاعي يصبح حينئذ سمة أسلوبية.

3- مفهوم متصل بالمتلقي، باعتبار الطرف الذي يميز بين الخواص الأسلوبية، ويدركها ويكشف انحرافها وبروزها عن طريق ما تحدثه من أثر وما تقوم به من وظيفة، وهنا نخص القارئ النموذجي الذي أشار إليه "ريفاتير" لأنه محور الخواص الأسلوبية بإخضاعها للتحليل والتفسير.

يختلف مفهوم الأسلوبية من حيث طبيعة تكوينه جنس أدبي إلى آخر نظرا لارتباطه بنظريات الشعرية وتقنيا التعبير الخاصة بكل جنس أدبي (فالأسلوبية المطبقة على نص شعري تهتم بالبنية التعبيرية الصغرى، بينما الأسلوبية المطبقة على نص نثري كالأروية ترتبط بالبنية التعبيرية الكبرى المرتبطة بتعدد الأصوات وبنية الزمان والمكان وبالشكل الكلي للخطاب الروائي وهكذا..)

لعل أهم نقطة في الدراسة الأسلوبية هي تصنيف مجموعات الظواهر اللغوية للأساليب وتبيين صيغها، وشرح العلاقات القائمة بينها، ثم تفسير دلالاتها الإبداعية أو الجمالية ارتباطها برؤية الكاتب للعالم من خلال نصه.

كما أن هناك مجموعة من الإجراءات البحثية في علم الأسلوب تابعة لمجال الإحصاء ومع ذلك فه تقدم معلومات مهمة في تحديد الظاهرة الأسلوبية بدقة، وهذا يؤدي بنا إلى تبين الظواهر الأسلوبية في شكلها الحسي المباشر الخاضع للاستقراء والتصنيف

كخطوة أولى للانتقال من الخواص الكمية إلى الخواص الكيفية المرتبطة بالتفسير النقدي للظاهرة الأسلوبية

إن اعتماد البلاغيين العرب على المنهج الإحصائي في دراستهم للغة الشعر مكنهم من تحديد أساسيات صلبة مرتبطة باللغة الشعرية ومظاهر المختلفة، فقط ما تحتاج إليه في عصرنا هو مناقشة نقدية وفلسفية وحسب.

تعتمد الأسلوبية على توصيف النصوص في ذاتها وإبراز خواصه التعبيرية، وكلما كثرت هذه التوصيفات أتاحت للدارسين فرصة المقارنة بين النتائج واستخلاص الدلالات العميقة للتباين والاتفاق في الخطاب الأدبي، وهنا ينتج ما يسمى بخصوصية النص عن غيره من النصوص الأدبية.

من خلال ما سبق نذكره نطل إلى أن هناك ثلاث اتجاهات أساسية في الدراسة الأسلوبية الوظيفية المرتبطة باختبارات القراءة وردود فعل القارئ.

ويرتبط علم الأسلوب بعلوم أخرى وهي: علم اللغة، حيث تعتبر الدراسة الأسلوبية وثيقة الارتباط بالنظرية اللغوية، لكنه يتميز بتركيزه على تحليل لغة الأدب.

2- علم الألسنية: يستفيد علم الأسلوب من كل التحولات المعرفية التي شهدتها الدرس اللساني الحديث، ولقد كان لـ"دي سوسير" و"جاكسون" و"تشومسكي" الأثر البالغ في تطوير مسار الدراسة الأسلوبية .

3- علم البلاغة: ترتبط الأسلوبية كثيرا بعلم البلاغة الجديدة على وجه الخصوص، وذلك من خلال استخلاص قوانين الخطاب الأدبي وتحديد سماته العامة، فإذا كانت البلاغة تميل إلى الطابع التقعيدي، فإن الأسلوبية تزودها بالنتائج المشكلة للقواعد العامة بعد تحليلها للنصوص الأدبية.

وباختصار فإن الأسلوبية تهتم بدراسة خواص اللغة الأدبية وربطه بشبكة المتخيل الأدبي عبر تحليل المجاز والصور، وطرق التعبير المختلفة.

المراجع:

• أحمد الشايب: الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، ط8، القاهرة، 1991.

• أحمد درويش: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1998م.

- بيير جيرو: الأسلوبية، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط2، حلب/سورية، 1994.
- صلاح فضل: علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1998.
- عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط3، تونس، (د.ت).
- محمد عزام: الأسلوبية منهاجاً نقدياً، وزارة الثقافة، ط1، دمشق-سورية، 1989.
- منذر عياشي: الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، ط1، حلب-سورية، 2002.
- نور الدين السد: الأسلوبية في النقد العربي الحديث، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 1994م.
- يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2007م.
- Algirdas Julien Greimas : sémantique structurale. Recherche de méthode. Press universitaire de France, Nouvelle édition, France, 1986.
- George Mounin et autres: dictionnaire de la linguistique, PUF, 4 Ed, 2004.

سعدية بن ستيبي